الدكتور عبد الصبور شاهين

تعدد الزوجات

دفاع عن الأمن الأخلاقي وحماية له من الزنا واللواط والسحاق

إعداد
عبد الله المصري

الدار الذهبية


بسم الله الرحمن الرحیم

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع أحمد تيسير ـ كلية البنات مصر الجديدة
القاهرة ـ تليفون ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فهذه رسالة عن العلاقات الأسرية فى المجتمع الإسلامى ، مستلة من خطب الجمعة ، وهى تتعرض لقضايا الزواج ، وتعدد الزوجات ، والعلاقات غير السوية بين الجنسين ، وعلاقات الشذوذ كما أشارت إليها نصوص القرآن الكريم ، وعالجتها اجتهادات المفسرين والفقهاء .

وعلى الرغم من أن ذلك من الموضوعات التقليدية فإنها لا تزال موضع اهتمام شديد فى زماننا ومجتمعنا من رجال الإعلام ، وكثيراً ما يثير القادمون من أوربا أسئلة حول موقف الإسلام من تعدد الزوجات ، ومن الشذوذ الجنسى ، انطلاقاً من الموقف المتناقض الذى تقفه الحياة الأوربية من هذين الأمرين ، فهى تمنع تعدد الزوجات ، وتبيح تعدد العلاقات الزنوية ، أو المثلية ، ومع وضوح هذا التناقض فإن هؤلاء الأوربيين يعملون دائماً على تصدير هذه الأشكال من الانحلال الأخلاقى إلى شعوبنا ، حرصاً على إفساد البنية الأخلاقية ، وتأكيداً لاتجاهات الانحلالية داخل شعوبنا ، وكأن تمسكنا بديننا يسمم حياتهم ، وينتهك مشاعرهم ، فالحياة الجنسية المستقيمة فى إطار شرع الله لا تعجبهم ، وما زالوا يلحون على ضرورة أن تكون الزوجة واحدة ، لا أكثر ، بما يتبع ذلك ويصحبه من نمو الحركات النسوية ، واتخاذها شعارات تتفق ومعطيات هذه الثقافة الخاصة بشعوبهم ، والتى أرست أسسها تعاليم أحبارهم ورهبانهم – حتى أصبحنا نقلدهم فى كل ما يأتون وما يدعون ، وَحَّدْنَا الزوجة ، وصرنا نغض الطرف فى بعض الأوساط عن ملاحظة سلوك الرجل والمرأة خارج البيت ، بدعوى ممارسة الحرية ، ولا

مانع أن يكون للرجل صديقات ، وأن يكون للمرأة أصدقاء ، كأننا رضينا أن يتعاطى بعضنا الجنس حراماً ، ورفضنا أن يكون حلالاً فى إطار الزواج المشروع – وأصبح من المقبول أن يشاع عن بعض الرجال أنهم شواذ ويكتب ذلك فى الصحف ، وبأقلامهم كتاب موثوق بمعلوماتهم وبنزاهتهم ، وبرغم ذلك نجدهم يشغلون مواقع هامة فى المجتمع : أى سيرة الرجل لم تعد شرطاً فى أهليته للمنصب ، (فهذه دقة ، وتلك دقة أخرى) .. ويالها من مهزلة !!

إن المجتمع الإسلامى الصحيح كان ولا يزال يزن أعضاءه بميزان الأخلاق ، فلا انفصال بين الوظيفة والسلوك ، والرجل يجب أن يكون ملتزماً بالاستقامة الدينية حتى يكون مسموع الكلمة ، مقبول التوجيه ، وكذلك المرأة .. لا فرق !!

وما زالت فى مجتمعاتنا بقايا من قيم الشرف والعِزض ، والكرامة والاستقامة ، وإن اعتبرت لدى العالمانيين والمأبونين بقايا رجعية متعصبة ، ومواريث تخلف لا تُرى إلا شاحبة اللون ، لا طعم ، ولا رائحة .

وهكذا تشهد مجتمعاتنا صراعات حادة بين اتجاهات المحافظة على الدين والأخلاق ، واتجاهات الانحلال العالمانى الذى يدعو إلى هجر الفضيلة الدينية ، والتمسك بالقيم التقدمية التى تأمر بالفحشاء ، وتدعو إلى الرذيلة ، باعتبار ذلك من مقومات الحضارة المعاصرة ، وتوجهاتها العملية .

ومن هذا المنطلق كتبت امراة تسمى « نوال السعداوى » فى أحد كتبها تطالب الفتاة المسلمة بأن تجرب الجنس قبل أن ترتبط بالزواج ، حتى يكون اختيارها للزوج مبنياً على التذوق العملى ، فالتجربة الجنسية فى مذهبها حرية يجب أن تمارسها الفتاة رغم أنف الدين ، والأخلاق ، والتقاليد المتخلفة !!

أهناك أبشع من هذا التفكير الذى أملته ماركسية قذرة ، وعالمانية عفنة ، وتقدمية زائفة ، وأهواء زائغة ، ونفوس مضطربة يجب أن يحجز أصحابها داخل أقفاص فى معازل المجانين ، ومراحيض الأمراض العقلية ؟!!

أجل .. هذه هى الحقيقة ، فليست القضية قضية الحرية كما يدعون ،

فالحرية فى ذاتها جوهر نفيس لا يقدر بمال .. ولكنها قضية إفساد هذا المجتمع ، وإخراجه من ربقة الإسلام ، حتى يسلس قياده ويستسلم للقوى العالمانية الكافرة ، قوى الاستعمار الرأسمالى والعقائدى ، لكى تفعل بنا إسرائيل المتحفزة المتوثبة ما تشاء ، ولكى تتربع أمريكا على صدورنا ، وتقطع أنفاسنا ، مع ضمان أننا لن نرفض المهانة ، ولن نثور من أجل الكرامة والعرض والشرف ، بعد أن استحالت هذه القيم إلى أنقاض مجتمع قديم غارب .. !!

إن القضية – يا سادة – كبيرة كبيرة ، تنبع خطورتها من قلوب أعماها الحقد ، وامتلأت قيحاً وغيظاً من هذا الدين ، وليس أمامنا إلا أن نثبت على حقنا فى مواجهة الباطل ، وأن نتمسك بديننا فى مواجهة الكفر ، وأن نقاوم التيارات اللا دينية دفاعاً عن الإسلام وشرائعه ، وأن ندعو إلى الله على بصيرة ، ونحن موقنون بأننا سوف نسحق فى النهاية كل القوى المضادة للخير المبغضة للحق ، المشوهة للجمال الأخلاقى الذى خص الله به عباده المؤمنين .

ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ..

أ. د. عبد الصبور شاهين

القاهرة
جمادى الآخر ١٤١٥ هـ
نوفمـــــــبر ١٩٩٤ م

تعدد الزوجات والفطرة*

يقول القرآن : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (١) أى لا تظلموا – ما القضية ؟

هذه الآية يتعلق بها دائماً موضوع تعدد الزوجات ، ويعتمد عليها فى فهم إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام ، ولابد أن نعلم أن المجتمع العربى قبل هذه الآية كان للرجل فيه أن يجمع فى عصمته عشر نساء (عشر زوجات .. عشرين) هو حر ، وله الحرية المطلقة بمقتضى نظام المجتمع الجاهلي أن يجمع أى عدد من الزوجات ، فجاء القرآن ليحدد العدد بأربع أى ليصادر هذه الحرية المطلقة ويوقفها عند حد لا يزيد على أربع ، فالإسلام لم ينشىء التعدد ، ولكنه حدده ، وضيق مجاله .

والواقع أن القضية عندما ننظر إليها نظرة واقعية سنجد أن المجتمع مكون عادة من رجال ونساء ، فإذا كان للرجل أن يتزوج امرأة واحدة فسيجد هذه المرأة فى المجتمع يستطيع أن يختارها ويتزوجها ، لكن إذا كانت هناك زيادة في أعداد النساء عن الرجال ، وذلك بأن كان عندنا مائة رجل ومائتان أو ثلاثمائة امرأة .. أو أربعمائة امرأة مثلاً فستكون هناك مشكلة زيادة عدد النساء على عدد الرجال ، وليس من الطبيعى أن يزيد عدد الرجال على عدد النساء ، ولكنه احتمال وارد على أى حال ، وعلاجه ميسور لا عسر فيه .

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢٩ محرم عام ١٤١٥ هـ / ٨ يوليو عام ١٩٩٤ م .

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

لقد أقام الله - سبحانه وتعالى - الحياة على أن عدد الرجال دائماً أقل من عدد النساء وعدد النساء يتزايد إلى أن تبلغ النسبة أربعة نساء إلى كل رجل ، ولم تزد هذه النسبة فى أى مجتمع حتى فى أعقاب الحروب الطاحنة ، فلم يقل عدد الرجال عن ٢٥٪ من عدد النساء .

* * *

مشكلة العوانس

فى مثل هذه الحالة الواردة التى يمكن أن توجد فى مجتمعنا وهى موجودة فى مجتمعنا فعلاً .. حين ننظر مثلاً إلى أعداد العوانس اللاتى لم يتزوجن ، ولا يجدن سبيلاً إلى الزواج ماذا يمكن أن يفعل المجتمع فى مثل هذه المشكلة ؟ .

هنالك ثلاثة حلول : **الحل الأول** : أن كل رجل يتزوج امرأة واحدة .. مائة رجل بمائة امرأة ، ويبقى عندنا ثلثمائة امرأة (٣٠٠ امرأة) كتب عليهن أن لا يجدن أزواجاً !! فماذا نفعل بهن ؟ هل نقول لهن : صمن عن الجنس؟ ولا حق لكُن فيه إلى أن يأذن الله لكُن بالفرج ؟! وبذلك تحرم هؤلاء النسوة من حقهن فى الجنس !! هل نستطيع أن ننفذ هذا الحكم على هؤلاء النسوة ؟؟ شىء لا نستطيع أن نناقشه لآننا لا نستطيع أن نعرف الأسرار وما يجرى بداخل البيوت .

هذا هو الحل الأول ، أو هو احتمال فى مواجهة المشكلة .

والحل الثانى : أن نقول للرجل : تزوج امرأة وتعامل فى السر مع واحدة أو اثنتين أو ثلاثة عن طريق الصداقة .. المخاللة .. المخادنة .. يعنى عملية السفاح والزنا .. هذا حل .. تفكير آخر (يبقى ١٠٠) سيأخذن حقهن الشرعى وثلثمائة سيحصلن على الجنس بطريقة محرمة ، غير مشروعة .

الحل الأمثل لمشكلة العوانس

والحل الثالث هو أن نقول لكل رجل تزوج ثلاثاً أو أربعاً فالمائة رجل يتزوجون أربعمائة امرأة ، وبذلك تحصل كل امرأة على الجنس عن طريق الحلال .. أى الحلول أفضل فى الثلاثة الافتراضات ؟؟

إن الافتراض الأول وهو الذى يحرم النساء من حقهن فى الجنس هو افتراض ظالم .. هو افتراض ضد الفطرة لأن الله - تبارك وتعالى - خلق الرجل وخلق المرأة لهذه الوظيفة ، فلا يمكن بمقتضى قانون الفطرة أن تحرم امرأة من حقها .. ومن حقها أن تنال حاجتها من الجنس ، فإذا نحن منعناها تماماً وحرمنا عليها الجنس كنا قد ظلمناها وحرمناها من حقها .

وأما الافتراض الثانى وهو أن يتزوج الرجل امرأة واحدة وأن يخالل ويصادق امرأة أو اثنتين .. أو ثلاثاً على حسب ما تيسر ، أى أن ينشىء علاقة محرمة مع هؤلاء النسوة معنى ذلك أننا ندمر المجتمع لأننا نبيح فيه الخطيئة ، وقد لجأت المجتمعات الغربية لهذا الحل حين فرضته بموجب تعاليم الكنيسة ، فليس فى الكتب المقدسة ما يمنع التعدد .

ولقد بحثت هذه المسألة والتقيت ببعض الآباء الذين يعملون فى القضاء الإنجيلى (القضاء الكنسى) فأقروا أنه ليس فى الكتب المقدسة ما يمنع تعدد الزوجات ولكن تعدد الزوجات إنما منع بتعاليم من الكنيسة ، فهو موقف الأحبار والرهبان كما يقول القرآن الكريم : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾[1] أى مشرعين لأنهم يشرعون لهم الشرائع التى يلتزمون بها .

* * *

---

(١) سورة التوبة الآية : ٣١ .

غياب تعدد الزوجات

وانتشار الزنا فى الغرب

لقد أخذ المجتمع الغربى بالحل الثانى وهو أن يكون للرجل زوجة واحدة وعشر خلائل .. عشر صديقات ، وبالمثل أصبحت المرأة الواحدة لها عشرة أصدقاء ، ولذلك قامت الحياة الأخلاقية .. والاجتماعية .. والزوجية عندهم على أساس مختل حقيقة .

ولا أنسى أننى التقيت بامرأة سويسرية مسلمة تعيش فى استراليا متزوجة من رجل مصرى وكنا فى لندن وجرى الحديث عن الطريق إلى إصلاح المجتمع الإسلامى فأذهلتنى المرأة عندما قالت لى : إن مجتمع المسلمين لا يصلح إلا بأمرين :

الأمر الأول : أن يتعلم كل المسلمين اللغة العربية لأنها لغة القرآن ، فيجب أن يتكلم المسلمون جميعاً فى العالم لغة واحدة ، هى لغة التفاهم فيما بينهم ، وهى اللغة الدولية العالمية لهم .

الأمر الثانى : أن يعود للمسلمين تعدد الزوجات .

– قلت لها : هذا شىء غريب جداً .. أنت امرأة غربية تربيت فى سويسرا وتعرفين تقاليد المجتمع الأوربى المعاصر كيف تمتدحين تعدد الزوجات ؟!

– فقالت : أنا أخبر بما عليه هذا المجتمع الغربى الذى عشته وأنتمى إليه .. أنا أعرف خباياه .. كل البيوت مغلقة على رجل وطفل ، أو امرأة وطفل ، والطرف الثانى يسرح مع أصدقائه ورفيقاته أو رفقائه .. فليس هنالك روابط أسرية ولا مسئولية أخلاقية تصون الأسرة فى المجتمع الغربى ؛

لأن العلاقات الجنسية علاقات حرة .. المرأة تأتى ما تشاء ، والرجل يأتى ما يشاء ، دون أى عتاب .. أو أى خجل من العلاقات الخائنة المشبوهة التى تكون فيما بين الناس بعضهم وبعض .

وقال لى رجل التقيت به مصادفة كان فى ألمانيا واستطاعت زوجة أستاذه أن تدور حوله وتنسج حوله خيوط العنكبوت فكان يخالطها فى الحرام وفى ذات يوم وجد الأستاذ يطرق عليه الباب ودخل ونظر إلى الغرفة وقال له : هذا السرير الحقير هو الذى تخوننى عليه المرأة !؟ هذا الحمام القذر هو الذى تغتسل فيه !؟ على أى حال أنا شاكر لك لأنك حينما وفرت لها الجنس من طريقك مكنتنى من اتمام البحوث العلمية التى لا يمكن أن تتم إلا بالتفرغ لها .. فأنا شاكر لك يا بنى ، ومن أجل هذا سوف أساعدك أكثر على أن تتم بعثتك .. وأن تتم بحثك وتحصل على أعلى درجات الدكتوراة !! وهذا أغرب ما سمعت عن العلاقات الزوجية فى هذه المجتمعات المنحلة .

شيء غريب جداً أن يقول لى : جاء هذا الرجل وعندما علمت بأنه عرف العلاقة زلزلت وكدت أموت ، وكان هو بكل بساطة يهدئ من روعى ويطمئننى حتى أصبحت أجد أن المسألة واجب يفرضه علىّ أستاذى تجاه زوجته .

حاجة غريبة جداً .. مجتمع فاسد لأنه لا يعرف قداسة العلاقة الزوجية .. لا يعرف معنى العلاقات النظيفة .. وهنالك مغالطة غريبة جداً لأنهم استطاعوا بمؤثراتهم الإعلامية والثقافية أن يقفزوا فوق مجتمعنا فأصبح الرجل ملتزماً بزوجة واحدة وبقية النساء اللاتى لا يجدن أزواجاً يعملن فى أى شيء وفتحت العلاقات على مصاريعها وعملت الشقق المفروشة على توفير حاجات طلاب المتعة الحرام .

وهكذا يتفلت المجتمع من قيوده الشرعية ويحصل بعض الناس من الفوضويين على أغراضهم الحقيرة والدَّنِيَّة نتيجة أخذهم بتعاليم المجتمعات الغربية الخاطئة .

الهدف من تعدد الزوجات

الحل الثالث .. وهو الحل الإسلامى ، أن الرجل يتزوج أكثر من واحدة عند الضرروة .. والإسلام لم يفرض .. لم يقل : تزوجوا ٢ أو ٣ أو ٤ وإنما قال : ﴿ **وإن خفتم** ﴾ (١) ترك المسألة للخوف .. والخوف مسألة ضمير .. حوار داخلى بين الإنسان ونفسه .. إن خفتم ألا تحققوا العدل فى اليتامى ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ** ﴾ (٢) يكرر مسألة الخوف الذى يخامر الإنسان عندما يقبل على مشروع جديد يخاف .. ما العواقب ؟ وإلى ما ستنتهى هذه الخطوة ؟ هل ستكون خطوة موفقة أم ستكون خطوة مدمرة ومخربة ؟ ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا** ﴾ (٣) فهو يربط القسط والعدل بقضية واحدة من أولها من آخرها ، حتى يرى الناس أن الهدف ليس تحقيق اللذة للرجل ، وليس إمتاع الرجل وتدليله .. وإنما هو تحقيق العدل فى المجتمع .. إلى جانب سلامة العلاقات الأسرية .

فتعدد الزوجات عندنا إنما هو لكى يقوم المجتمع على أساس الطهارة .. على أساس النظافة .. لا توجد فى الإسلام علاقة جنسية محرمة خارج إطار الشرع وإنما كل العلاقات منضبطة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هكذا أراد الله أن ينظم المجتمع الإسلامى ، وهذه إرادته سبحانه .. من أراد أن يجادل الله – عز وجل – فليجادله وسيلقى فى النهاية جزاءه .. لأن الله – سبحانه وتعالى – لا يحاجه إنسان ، وإنما حكم الله ماضٍ فى كل مخلوق ، فالذين يتفلسفون ويريدون أن يوهمونا أنهم أعدل من الله .. وأعلم من الله .. وأحكم من الله هم لا شك مجموعة من المجانين والمخبولين والمخبولات ولا يمكن أن ينتموا أبداً إلى عالم العقلاء .

---

(١) ، (٢) ، (٣) سورة النساء الآية : ٣ .

العدل وتعدد الزوجات

لقد أراد الله – عز وجل – لهذا المجتمع أن يحقق العدل .. والعدل هنا بُعد أخلاقى عميق سواء أكان عدلًا فى المعاش .. أم عدلًا فى المعاشرة أو المباشرة .. أم عدلًا فى العلاقات العامة لابد من تحقيق العدل فى هذه المجالات ، والشيء الوحيد الذى استثنى هو العدل فى العواطف ، لأن مسألة القلوب أمر بيد الله – تبارك وتعالى – ولا يستطيع أحد أن يحمل نفسه على أن تحب أو أن تكره ولذلك يقول القرآن : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ (١) فالعدل هنا هو عدل فى العواطف ، أما العدل الذى تتحدث عنه الآيات فى أول سورة النساء فهو العدل المادى فى الأمور الظاهرة .. لابد على من يحكم امرأتين أو ثلاثة أو أربعة أن يحقق العدل فيما بينهن طبقاً لتوجيهات القرآن ، وهى توجيهات لا تكلف الإنسان فوق وسعه .

فالعدل فى الزيارة مثلًا .. فى المبيت .. فى المعاشرة .. فى العشرة الطيبة بالكلمة الطيبة .. فى المباشرة يعطى لكل ذى حق حقه ، لأن هذا فى يده ، ويستطيع أن يحققه ، أما إذا كان عاجزاً عن تحقيق هذا العدل المادى فليس له إلا واحدة ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ (٢) أى فاقتصروا على واحدة ، وهذا أمر يتضمن وحدة الزوجة فى حالة الخوف من عدم تحقيق العدل .

إن الإسلام دين متوازن .. وشريعة تتعامل مع الواقع ، وهى تريد أن تحقق أهدافاً علياً ، ومثلًا علياً من أجل استقرار المجتمع على جانب من

---

(١) سورة النساء الآية : ١٢٩ .
(٢) سورة النساء الآية : ٣ .

العدالة وعلى جانب من الأمن الأخلاقى ، وهذا هو الدرس الذى نأخذه من هذه الآية من سورة النساء .

إن تعدد الزوجات فى الإسلام يوشك أن يكون أمراً للرجل أن يرعى هؤلاء النسوة حتى لا ينحرفن ، فيهددن الأمن الأخلاقى للمجتمع المسلم ، ذلك أن هذا المجتمع منذ كان لم يعرف امرأة تبقى بلا زوج ، سواء أكانت مطلقة ، أم أرملة ، لابد بمجرد انقضاء العدة أن تنضم إلى بيت زوج جديد يوفر لها الرعاية الاجتماعية ، والحماية الأخلاقية ، والضرورة الجنسية .

إن الإسلام يرى أن ترك امرأة بلا زوج معناه أن تكون مع الشيطان ، يدفعها إلى الفسق ، ويقودها إلى الزنا ، والرجل مكلف بأن يحول بينها وبين المعصية ، حفاظاً على أخلاق الجماعة ، وأمنها الأخلاقى ، وتلك مهمة مقدسة يتكفل بتمامها نظام الإسلام فى تعدد الزوجات ، إيواء للأرامل والمطلقات والعوانس ، وتحقيقاً للرعاية الاجتماعية كما قلنا ، فى زمن لم تعرف المرأة العمل لكسب العيش ، فماذا كان يمكن أن تفعل المرأة ، لا زوج لها ، ولا أب ، ولا أخ ، ولا ولد ؟

لا مفر حينئذ من أن تنضم إلى بيت يستقبلها زوجة جديدة ، تنعم بالرعاية ، وتنال حقها المشروع ، وبذلك تضمن رضا الله ، وسلامة النفس ، وطهارة الضمير ، واستقامة السلوك .

* * *

الدرس القرآنى

فى بنية المجتمع الإسلامى*

يقول الحق - تبارك وتعالى - من سورة النساء : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[1] .

أيها المسلمون ..

سبق أن تعرضنا لما تنطوى عليه هذه الآية من أحكام .. تعرضنا لقضية تعدد الزوجات فى الإسلام وكان حديثنا مثاراً للكثير من التعليقات التى لجأ إليها البعض ، إما تصيداً للحرج والإحراج .. وإما تظرفاً .. وإما اعترافاً بشرع الله - تبارك وتعالى - وعظمة هذا الشرع .

والواقع أننى أحب من كلٍّ من يفكر فى هذا الموضوع أن يضع بين عينيه بعض الاعتبارات :

أول شىء : أن الله هو الذى يتحدث ، والله - تبارك وتعالى - هو الخالق وهو العالم بما يصلح خلقه فلا ينبغى ولا يليق بمسلم أن يتصور أنه يتعقب شرع الله الخالق الجليل المشرع بملاحظات يُشْتَمُّ منها بأنه معترض ..

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١٣ صفر عام ١٤١٥ هـ / ٢٢ يوليو عام ١٩٩٤ م .

(١) سورة النساء الآيتان : ٣ ، ٤ .

أو يعتقد بأن هذا الشرع قد فات أوانه ، وتغيرت الظروف التى يصلح فيها مثل هذا الشرع .. فالله الذى نزَّل هذا الشرع ليكون قاعدة ومنهجاً لهذه الأمة إلى يوم القيامة ، هذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها أحد .

الاعتبار الثانى : أننا أمة مسلمة .. ونحن لم نصنع الإسلام ولم نوجده ، وإنما هو الذى صنعنا وأوجدنا ، فهذه الأمة هى صنعة الإسلام ، ولذلك فعليها أن تلتزم بشرائع الإسلام وألا تظن أن بوسعها أن تضيف إليها تعديلات من الواقع ، أو من احتمالات التغيير .. إلى آخر ما يراود بعض العقول المختلة أو المريضة .

فالإسلام هو الذى أوجدنا ، وهو الشريعة التى ارتضاها الله لنا ، وعلى ذلك فنحن أمة ينبغى أن تكون خاضعة لشرع الله لا مغيرة .. ولا مبدلة .. ولا معدلة .

والاعتبار الثالث : الذى ينبغى أن نضعه أيضاً نصب أعيننا أن الإسلام لم يخلق تعدد الزوجات .. لم يقترحه أصلاً فهو ليس شريعة مقترحة ، وإنما جاء الإسلام ليضع حداً للتعدد الذى لم يكن له حدود ، كان التعدد بلا حدود ، حتى يكون للرجل عشر زوجات أو عشرون زوجة ، لا يهم فهو يرعاهن ، وهن فى حكمه وتحت سلطانه ، لكن الإسلام أراد أن يضع حداً لهذه الفوضى فجعل الحد أربع زوجات .

والاعتبار الرابع : أن هذا الحد بأربع زوجات ليس فوضى ..وليس أمراً مباحاً لكل (من هب ودب) ولكن له أيضاً شروطاً يجب أن تتوفر، ويجب أن يلتزم بها ، وإلا تعرض الإنسان لإرتكاب الجور والحيف والظلم وهذا ما لا تستقيم معه حياة المجتمع .. المجتمع لا يستقيم إلا على أساس العدل ، فإذا فقد العدل فمن المؤكد أن المجتمع سيعانى كثيراً من الظلم والاضطراب .

* * *

شروط التعدد

وهذا ما ينبغى أن نفهمه لقد اشترط الله - عز وجل - لتعدد الزوجات أن يكون المرء قادراً على إقامة العدل بينهن فليست المسألة أن تجمع النساء فى مأوى أو مسكن ولديهن الطعام والشراب وانتهى الأمر .

إن التعدد مسئولية خطيرة يتعين على الرجل فيها وهو المسئول والراعى أن يحقق العدل فى رعيته والعدل المطلوب عدل فى النفقة .. عدل فى الأيام .. عدل فى المعاشرة .. فى المباشرة ، لابد أن يتحقق هذا النوع من العدل .

إذا رأى الرجل أنه غير قادر على هذه المسئولية فالقرآن يقول له : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [1] إذن لم يكن التعدد أبداً مجرد تدليل للرجل وإطلاق ليده فى النساء كما يهوى ويشتهى ، ولكنه كما قلنا مسئولية خطيرة وتكليف لأمر هام .

* * *

المفهوم الإسلامى لتعدد الزوجات

الاعتبار الخامس : الذى ينبغى أيضاً أن نضعه نصب أعيننا أن التعدد بالمفهوم الإسلامى هو فى الحقيقة مهمة جند فيها الرجل ليدافع عن الأمن الأخلاقى فى المجتمع ، يعنى -بكل بساطة - الإسلام لا يقبل فى المجتمع الإسلامى امرأة بلا زوج لابد لكل امرأة أن تكون فى بيت زوجية ، وإذا كانت هنالك استثناءات فإنها مسائل فردية ، امرأة عجوز انتهى أوانها ولم

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

تعد تجدى أو تفيد أحداً ولم يعد لها مطلب فى الزواج يمكن أن تبقى على حالها ، أما المرأة مادامت بصحتها وقوتها وعنفوانها فلا ينبغى أبداً أن تبقى بدون زوج .

والرجل هنا مكلف أن يوفر لهذه المرأة زوجاً .. الرجل كراع للمجتمع لابد أن يبحث عن النسوة اللاتى لا أزواج لهن فيظهرهن للأزواج ، هذه مهمة خطيرة تتغلغل إلى أحشاء المجتمع .. تغوص فى قلب المشكلات ، لكى تبحث عن المستورات فى بيوتهن ، المحجوبات عن الأعين ، حتى تبرزهن للأزواج ، والرجال مندوبون أى مدعوون إلى أن يسهموا فى الدفاع عن الأمن الأخلاقى للمجتمع لأن المرأة بلا زوج قنبلة زمنية موقوتة سوف تنفجر لحظة ما – فى أغلب الأحوال .

طبعاً هذا لا ينفى أن هنالك نسوة صالحات ﴿ **قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً** ﴾ [1] هنالك هذا الصنف من النساء ، لكن أغلب ما تكون المرأة بلا زوج أن تكون قنبلة زمنية موقوتة ، إن استطاعت أن تمسك نفسها عن الحرام فترة من الزمان فإنه من الممكن أن يفلت منها الزمام ، وأن تنفجر ، وأن تبدأ فى نشر الرذيلة فى المجتمع .

* * *

(١) سورة التحريم الآية : ٥ .

وهذا مجتمعنا تضج فيه هذه الصورة بكل بساطة ، فهنالك مراكز مقننة للحرية وللإباحة الجنسية المعلنة رسمياً تسمى الكباريهات والنوادى ، وما إلى ذلك ، وهذه موجودة بعلم القانون ، وفيها من السائبات .. الضائعات .. اللاتى لا ضابط لهن ولا ضمير لهن ، وربما كان فيهن ذات أزواج ، أو ذوات زوج .

أخيراً نشر أن امرأة فيها شيء غريب جداً فوجئ الناس أنها ذات ثلاثة أزواج تزوجت رجلًا وأنجبت منه أربعة ، ثم غاب عنها قليلاً فتزوجت الثانى فأنجبت منه ولداً .. ثم تزوجت ثالث وأنجبت منه بنتاً .. ثم ضبطت .. فمن الذى مكنها من هذه الفوضى !؟

إن المجتمع يتصور أن أمور الزواج والعلاقات الجنسية حرية شخصية .. كل واحد حر .. ولم تعد رعاية الدولة للأسرة رعاية مباشرة تلم بكل مشكلات الأسرة ، وإنما ترك هذا الأمر هملاً لا ضابط له ولا راع ولا مسئولية تتولاها .. فالناس يأتون ما يأتون ويذرون ما يذرون دون أن يعقب على مواقفهم أحد .

هذه الحرية الباطلة هى طريق الرذيلة وطريق الدعارة فى المجتمع ، ومجتمعنا فيه كثير من هذه الأصناف ، من اللاتى لا أزواج لهن ، ثم يذهبن ليقضين وطرهن من أى طريق وبأى ثمن ولست أريد أن أستفيض فى هذا لأن الحديث فيه موجع .

ويمكن أن يعالج هذا الوضع إذا وجدت المرأة حظها من الناحية الشخصية والجنسية عند رجل متزوج بأخرى ، لا يهم ، وإنما المهم أن تكون العلاقة شرعية ، هذا هو ما أراده الله من حكمة فى معالجة مشكلات المجتمع ، وهى أخطر المشكلات ، منها تنبع كل مشكلات المجتمع تقريباً ، يعنى مثلًا : قد يصحب الدعارة السرقة ، وكثيراً ما ذهبت المرأة إلى الرجل وتركته فى البيت ميتاً ، قتلته وأخذت كل شيء ، وقرأنا كثيراً من الحوادث فى الأخبار عن جنايات طريقها الجنس .

التعدد المرفوض

وفى المجتمع أمور غريبة جداً رجال يتزوجون أربعاً لا من منطلق الإعفاف ، ولكن من منطلق الاستئجار ، هو يُشَغِّلُهن ويقبض من ورائهن ، هو مقاول أنفار .. فهو يجند بعض النسوة لاحتراف البغاء ، واحتراف الدعارة ثم لا رادع .. لا رادع من قانون ولا من سلطان ولذلك تشيع فى بعض الأوساط مثل هذه الظواهر المرضية الخطيرة .

* * *

العالمانية وتعدد الزوجات

المهم أن موضوع الزواج والأسرة هو أخطر الموضوعات فى المجتمع ، لا يهمنا موضوع الأسعار .. ولا موضوع الغلاء .. ولاموضوع الضرائب .. التفتوا إلى هذه المشكلة ونظموها وجعلوا فوق رؤوس العباد سلطان الله – تبارك وتعالى – الذى ينظم حياتهم ويمنعهم من الرذيلة .

أما أن نمنع باسم الحرية .. وباسم التقدم .. وباسم العالمانية تعدد الزوجات ونبيح تعدد الزانيات الخليلات .. نبيح تعدد الصديقات فليس هذا مجتمعاً إسلامياً ، وإنما هو المجتمع العالمانى الذى يريده أعداء الإسلام ، فإذا كنا مجتمعاً منتمياً إلى الإسلام فلابد من تنظيم هذه العلاقات بين الناس بحيث لا تعد أبداً علاقات فردية شخصية ، وإنما هى من صميم سلطة المجتمع على أفراده .

ثم ننطلق إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [١]

---

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

يعنى إذا لم تستطع أن توفر النفقة .. والعشرة والمباشرة وخفت ألا تقدر على توفيرها فواحدة .. لك واحدة فقط .. وإذا تزوجت باثنتين تكون آثماً .. تكون ظالماً ، أى إن الزواج بأخرى فى هذه الحالة يصبح ظلماً منهياً عنه : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[1] .

* * *

تعدد الزوجات قبل الإسلام

وإشارة القرآن إلى ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[2] هذه - أريد أن أقول فيها كلمة يفهمها الناس : كانت النساء فى المجتمع القديم إما حرائر وإما إماء[3] ، والمصدر الأساسى فى وجود الإماء فى المجتمع هو الحرب ، كانت هناك حروب تأسر فيها مسلمات ، وتُأسر فى المقابل كافرات ، فتأتى هؤلاء النسوة إلى المجتمع الإسلامى ، وتُأسر المسلمات فى المجتمع الآخر المعادى .

إذن فلابد من وجود الإماء ، ولا يعترض على هذا لأنه معاملة ، مثلاً بمثل .. لكن الإسلام سوف يصحح العلاقة بهؤلاء الإماء ليساعدهن على الحرية ، فإذا تزوج مالك الأمة من أمته .. يعنى أنه إذا جامعها فإنه بذلك يعطيها حقها .. لها حق مادامت قد احتبست ، ولابد أن تأخذ حقها .. لابد أن نعطيها حقها ، وإلا فسوف تخرج إلى المجتمع ، وتبحث عما يشبع غريزتها ، وفى الحرام ، وأنت المسئول .

* * *

---

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣ .

(٣) **الإماء** : جمع أمة أى عبدة جارية فى البيت وكانت الأمة تُشترَى من السوق كما تُشترى الأشياء الخاصة ، كانت سلعة فى السوق تباع وتشرى وهذا هو ملك اليمين .

والمطلوب هنا ليس فقط أن تستمتع الأمة بالجنس ، وإنما أن يكون الجنس طريقاً إلى الحرية ، هى أمة مملوكة فإذا تزوجها سيدها فإنها بمجرد أن تحمل وتلد تصبح أم ولد ، وحرة ، لا يمكن أن تباع ولا أن تشترى ، ولا أن يتاجر فيها ، وإنما تبقى فى حضن الزوج أو مع السيد ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فهى حرة وابنها من زوجها حر .

هذا هو ملك اليمين وقد جعل الله العلاقة هنا طريقاً إلى الحرية لأن الإسلام لا يحب وجود العبيد أو وجود الإماء فى المجتمع ، إنه يريد الناس جميعاً أحراراً ، وأنه لا يفرض العبودية على الناس وعلى المجتمع ولعلنا نذكر هنا حادثة عمرو بن العاص - رضى الله عنه - عندما اعتدى ابنه وهو يسابق المصرى فى ركوب الخيل فغلبه المصرى وسبقه فضربه وقال له : أتسبق ابن الأكرمين !! أتسبق ابن الأكرمين يعنى هو يستغرب أن يسبقه المصرى .

المصرى كان أكثر فناً فلما ضُرب المصرى أدرك بسرعة بأنه لابد وأن يأخذ حقه فسافر بسرعة إلى المدينة المنورة وهنالك قابل (عمر بن الخطاب) - رضى الله عنه - ورفع إليه الشكوى فاستمع عمر إليه ، ثم وجه البريد إلى مصر (أرجو أن تتصوروا هنا أن المسألة لم تكن انتقالاً بالطائرات ولا بالسيارات ولكنها كانت انتقالاً على الدواب) يسافر الرجل من مصر إلى المدينة لكى يطلب حقه فيرسل أمير المؤمنين من المدينة إلى مصر بريداً يستغرق شهراً لكى يقول لعمرو : اشخص إلىّ ومعك ولدك .. تعال فوراً أنت وابنك .. ويذهب (عمرو بن العاص) ويقف المصرى فى جانب ، وعمرو والى مصر .. فاتح مصر .. حاكم مصر .. الرأس العظيم .. الشخص

العظيم يقف على الطرف الآخر هو وابنه ، فيسأله عمر بن الخطاب : هل ضرب ابنك هذا الرجل ؟ فيقول : نعم .. إذن لابد من القصاص فيعطى عمر بن الخطاب للمصرى الدرة - يعنى الكرباج - ويقول له : اضرب ابن الأكرمين .. فيضربه .

- ثم يقول عمر : اضرب أيضاً عمرو بن العاص .. اضرب أباه .

- فيقول المصرى : لا .. إنه لم يؤذنى ولم يضربنى فأنا لا أضربه .

- ثم يقول (عمر بن الخطاب) لعمرو بن العاص : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » (الله أكبر) .. متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

هذه هى روح الإسلام .. وهذه هى عظمة الإسلام .. إنه لم يأت إلى مصر ليفرض عليها العبودية التى تشمل كل أبنائها وسكانها ، لا .. إنهم أحرار .. وهم على أصل الوجود والخلقة .. ولدتهم أمهاتهم أحراراً فيبقون أحراراً كما ولدوا .

* * *

الإسلام وحرية العبيد

والإسلام لا يصادر الحرية بل يدعو إليها .. بل هو يسوق إليها المجتمع لكى يحرر العبيد الموجودين فى داخله ، من أقسم يميناً فكفارته إذا حنث أن يعتق رقبة .. من أفطر فى رمضان متعمداً فكفارته أن يعتق رقبة .. من قتل إنساناً خطأً فكفارته أن يعتق رقبة .. حتى الصدقة ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رقبة** ﴾[1] .. إلخ إذا أردت أن يكفر الله عنك الخطايا فاعتق الرقاب ، فهذا هو السبيل لأن يعتق الله رقبتك من النار .

---

(١) سورة البلد الآيات ١١ - ١٣ .

هكذا الإسلام دين الحرية .. دين العدالة .. دين المساواة .. والكفاءة .. والتكافؤ هو أنه يأخذ بأيدى الضعاف ليرفعهم لمستوى الحرائر والأحرار ، ولذلك تكون المرأة الحرة زوجة للرجل وعنده أمة فتأخذ الأمة من حقها ما يكافئ حق الزوجة السيدة ، شيء طبيعى بلا إذلال ، ولا تنفخ ، ولا كبرياء على عباد الله ، فالناس ولدوا جميعاً شعوباً وقبائل وجعلهم الله هكذا ليتعارفوا ويتآلفوا ، لا ليتخذ بعضهم بعضاً عبيداً ويستذلونهم ، وإنما الأمور وظائف .. لكل إنسان وظيفة الرئيس .. نعم هو رأس الدولة ، والناس أقل منه فى المنصب ، لكن الرئيس فى فلسفة الإسلام هو خادم لأقل فرد فى المجتمع الإسلامى ، ويجب أن يعرف كل إنسان ويوقن أن رئيس الجمهورية هو خادمه المخلص ، وأنه يسهر ولا يستريح من أجل أن يوفر له كل الأمان وكل الطعام وكل الحاجات .

الوزيز .. نعم هو رئيس ذو مظهر وأبهة ، ولكنه فى الحقيقة خادم لكل من يعمل فى وزارته ، بل ولكل الناس .

وهكذا خلق الله الناس .. الخادم فى البيت يكون فعلًا فى مرتبة الخادم ، ولكن له حقوقاً مساوية للسيد ، بل ربما زادت الخادمة على السيدة فى التدلل وفى الامتيازات ، لأن الرجل يريد أن تبقى لكى تريح زوجته ، وهو يلاطفها ويعطيها ويغدق عليها .. إلى آخره .

إذن فالإسلام لا يعرف روح الإذلال وروح الكبرياء ، فالله – عز وجل – وحده له الكبرياء فى السماوات والأرض أما الخلق فكلهم عبيد .. وكلهم لله عبيد ولا ينبغى أن يتصور أحد بما هو غنى .. أو بما هو قوى .. أو بما هو وزير .. أو بما هو رئيس – أنه يمكن أن يستذل عباد الله ، والذين يفعلون ذلك سوف يلقون فى الآخرة أضعاف أضعاف ما يحملون عباد الله من العنت ومن المعاناة ومن المشقة .

* * *

الدرس القرآنى فى العلاقات الزوجية

هذا هو الإسلام الذى يفرض العدالة داخل البيت وخارج البيت ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ (١) تعولوا أى تجوروا الجور يعنى أنك إذا اقتصرت على واحدة فقد أقللت من حظك فى الظلم ، وأصبحت بعيداً شيئاً ما عن ارتكاب الظلم فهو أقرب إلى عدم الظلم .

ثم يقول تعالى ﴿ **وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً** ﴾ (٢) وهو استمرار لتكريم المرأة ، فالمرأة ليست سلعة تباع وتشترى ، ليست موضوع تجارة بين الناس يتنافسون فى إعلاء ثمنها لا .. المرأة كرامة .. المرأة هدية ويجب ألا تؤخذ إلا بروح الإهداء ﴿ **وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ** ﴾ أى مهورهن نحلة أى عن طيب نفس .. وعن سخاء نفس »، فهو يتصور دائماً أن الإنسان عندما يخطب امرأة لا يتصور أنه مقدم على صفقة من الصفقات ، ولذلك دعا الإسلام إلى عدم القصد إلى الغنى فى الزواج : « **لا تتزوجوا لأموالهن فعسى ما لهن أن يرديهن .. ولا تتزوجهن لحسنهم .. فعسى حسنهن أن يطغيهن ، ولا تتزوجهن لحسبهن .. ولكن تزوجوهن على الدين فلأمة سوداً ذات دين أفضل** »(٣) .

أَمة سوداء ذات دين أفضل من ملكة الجمال ، ومن امبراطورة الثروة ، ومن بنت الحسب والنسب ، المهم أن تكون ذات دين ، فالدين حَسَبُها ، وثروتها ، وجمالها النفسى الذى يتفوق على كل جمال حسى ، وهو كل

---

(١) سورة النساء الآية : ٣ .
(٢) سورة النساء الآية : ٤ .
(٣) حديث شريف

شيء فى حياة الإنسان المحترم الذى لا يريد من الزواج صفقة يغتنى بها ، وإنما هو يطلب المرأة ، ويكرمها بأن يدفع لها مهرها عن طيب نفس ، لا ينظر إليها على أنه (ده غالى شوية .. ديه تستحق أقل شوية .. اللى زيها بيأخذوا إيه) لا .. ليست المسألة بهذه الصورة ، إنما المسألة هى فى الحقيقة أداء لأمر الله فيما أراد من الكرامة للمرأة .

ثم يفتح الباب من جانب آخر للمرأة إذا كان الرجل قد أعطاها صَدُقَتَها عن طيب نفس ، فمن الممكن أن تتنازل هى أيضاً عن شيء من هذا المهر عن طيب نفس للرجل الذى ذاق ألوان المشقة حتى جمع هذا المهر فقدمه إلى الزوجة ، ورأت المرأة بقلبها الطيب وحنانها الفياض أن تتنازل عن شيء من هذا الصداق وتهديه إلى الرجل .. لا بأس .. لا بأس فالإسلام لا يمنع هذا التهادى بين الرجل وزوجه فى استقبال الحياة الزوجية ، لأن هذه الروح هى الروح البناءة التى يقصد بها فعلاً دعم البنية الاجتماعية ، وتمتين العلاقات الزوجية بين الرجال والنساء .

هذا درس من الدروس القرآنية التى تتصل ببنية المجتمع الإسلامى أسأل الله - عز وجل - أن يردنا إلى هذا الدين وأن يجعله قوام حياتنا فى هذه الدنيا وطريقاً إلى رضوانه فى الآخرة .

* * *

السلف الصالح وتعدد الزوجات*

يقول الله - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم من سورة النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾[1] « صدق الله العظيم » .

أيها المسلمون ..

هذا درس من دروس سورة النساء كما رأينا بدأت الحديث عن النساء ويتامى النساء ، ثم تحدثت عن تعدد الزوجات فى حياة الإنسان المسلم .

ولابد أن نضع تحت نظرنا ملاحظة مهمة عن تعدد الزوجات لأن لهذا الموضوع أهمية خاصة فى تفكير الإنسان المسلم .. لقد استقر هذا الإنسان المسلم الآن على اعتقاد غريب عن الإسلام وهو الاعتقاد الذى لا يرى تعدد الزوجات ، نتيجة الظروف الاقتصادية ونتيجة الظروف العملية ، وربما كان الناس قديماً عند تطبيق هذه الشريعة كانوا يملكون من الوقت ما ينفقونه فى رعاية عدد من النساء ، أما الآن فإن الرجل غارق إلى أذنيه لكى يعول امرأة واحدة ، وهو لا يستطيع أن يقوم أحياناً بواجباتها كاملة نتيجة الإرهاق أو نتيجة الافتقار ، والأزمات الطاحنة .

فما بال الحديث عن تعدد الزوجات وما قيمته العملية ؟ ..

أولاً : تعدد الزوجات شريعة ، وليس اقتراحاً من أحد ، إنما هو شرع الله - تبارك وتعالى .

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢٠ صفر عام ١٤١٥ هـ / ٢٩ يوليو عام ١٩٩٤ م .

(١) سورة النساء الآية : ٤ .

وثانياً : السلف الصالح عندما تلقوا هذا التشريع تلقوه على انه تحديد لفوضى كانت موجودة فى المجتمع كان الناس يتزوجون أكثر من عشرة ، كما سبق أن قلنا فى اللقاءين السابقين ، فجاء الإسلام ليحدد ويقلل العدد .. لا ينبغى أن ننظر إلى تعدد الزوجات فى وضعنا نحن الآن ، على أساس أننا نتزوج واحدة وكفى .. فكيف نتزوج اثنتين .. أو ثلاثاً .. أو أربعاً .. إننا لا ننظر إلى هذا التشريع على أنه كان تحديداً لحرية الرجل .. تحديداً لعدد ما يصح أن يَضُمَّهُن فى ذمته وفى رعايته ، ثم إن تعدد الزوجات فى الإسلام ليس مجرد أن يتزوج الرجل واحدة .. واثنتين .. وثلاثاً .. وأربعاً ، ولكنه كما قلنا وظيفة يُجنَّد لها الرجل على مستويين .

* * *

الوظيفة الأخلاقية لتعدد الزوجات

المستوى الأول : هو وظيفة أخلاقية لأنه دفاع عن الأمن الأخلاقى للمجتمع ، فالمرأة بلا زوج عرضة للإغراء .. ينفرد بها الشيطان فى كل عصر وفى كل زمان ، وإبليس موجود فى كل بيئة ، وهو يحاول دائماً أن يغتال عفة الإنسان وأن يدفع المرأة إلى الرذيلة .

فلابد أن تكون مع زوج ليكون حصناً لها فمهمة تعدد الزوجات هى مهمة أخلاقية ، ومنذ شاع فى المجتمع كما نرى وحدة الزوجة باعتبارها هى الكفاية وحسبنا من النساء واحدة شاعت فى المجتمع فنون وحرف تتصل بالبغاء نتيجة خلو البيوت من الرجال ، فوجود الرجل دفاع عن الأمن الأخلاقى للمجتمع ، والرجل مكلف بحماية المجتمع أخلاقياً كما يحميه أيضاً أمنياً هذا من ناحية .

* * *

الوظيفة الاجتماعية لتعدد الزوجات

ومن ناحية أخرى نحن نعلم أن المرأة قديماً لم تكن تعمل ولم يكن لديها فرص للكسب كثيرة ، فكان الرجل يقوم مقام الرعاية الاجتماعية للمرأة حين يموت عنها زوجها ، أو حين تطلق فلا تجد من يعولها من أب .. أو أخ .. أو ابن ، فيتولاها رجل آخر ينهض بمهمة إعاشتها وحمايتها وإعفافها أخلاقياً .. ويعفها عن المسألة ، لا تمد يدها لأحد لأنها فى ذمة رجل يوفر لها الطعام والشراب والكسوة والحاجة .

وبذلك كان المسلمون يقومون دائماً بالزواج من النساء العاطلات حسبة لوجه الله - تبارك وتعالى - لأنه يريد أن ينال ثواب الله حماية للمرأة من أن تمد يدها إلى الناس .. أن تتسول ممن تستحق ومن لا يستحق ، وهكذا أخذوا تعدد الزوجات على أنه فضيلة ومهمة جهاد للدفاع عن الأمن الأخلاقى للمجتمع من ناحية ، وللدفاع أيضاً عن عفة الإنسان ألا يتذل ماء وجه المرأة فى السؤال والتسول ، وفى طلب الحاجات التى تتعرض لها ، ويمكن لو طلبتها من إنسان معدوم الضمير أن يساومها على عرضها والمساومة على العرض موجودة فى كل زمان ومكان عندما يختلى رجل بامرأة ولذلك حذر رسول الله ﷺ من اختلاء النساء بالرجال فقال : **« ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »** [1] .

* * *

(١) حديث شريف .

كرامة المرأة والصداق

هذا وضع أخلاقى وأصولى لا يحتمل جدال المجادلين .. ولا سخافة المتفلسفين لأن هؤلاء ليسوا أرقى فى تفكيرهم من أمر الله وشرعه وتدبيره لعباده .

قلنا إن الإسلام وضع أو فرض للمرأة صداقاً فكان ذلك من باب تكريمها ، إنها فى الغرب تدفع لكى تتزوج La dote ويسمونها هنا الدوطة .. الدوطة تدفعها المرأة فى الغرب للرجل لكى يتزوجها ، أما المرأة فى الإسلام فلا تدفع ، إنها تقبض والرجل هو الذى يدفع .. والرجل هو الذى يخطبها .. وهو الذى يسعى للتقرب منها .. وهو الذى يحاول أن يطلب رضاها .. هذا هو نظام المجتمع الإسلامى كما أراده الله – عز وجل – أن تكون المرأة دائماً مطلوبة لا طالبة ، ومخطوبة لا خاطبة .

الإسلام لا يعرف المرأة التى تجرى وراء الرجال ، تبتذل حرمتها لكى يتزوجها ، مع أن الأمر وارد ، فالمرأة حين تريد أن تتزوج رجلًا تستطيع أن تخاطبه فى هذا ، ولكن لابد أن يمهرها مهرها ، لابد أن يعطيها صداقها : **﴿ وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾** (١) .

لم يفرض شيئاً .. ولم يشدد ، وإنما قال : **﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾** (٢) إنه هنىء ، لأنه يساق حينئذ باعتباره هدية من المرأة إلى الرجل الذى اختارها وآثرها ، وهو أيضاً طيب العاقبة فى الآخرة إن شاء الله .

---

(١) ، (٢) سورة النساء الآية : ٤ .

كبيرة الزنا *

يقول الحق - تبارك وتعالى - من سورة النساء : ﴿ واللاتِى يأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإن شَهِدُوا فَأمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * واللذَانِ يأْتِيانِهَا مِنكُمْ فَأذُوهُمَا فإن تَابَا وأصْلَحَا فَأعْرِضُوا عَنْهُمَا إنَّ اللَّه كَان تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (1)

أيها المسلمون ..

سورة النساء تعالج الضعف فى بناء المجتمع الإسلامى كان الضعف يتمثل فى الظلم الذى يوقعه الكبار بالصغار ، كما يوقعه الرجال بالنساء فعالج الإسلام هذه الحالات الظالمة بوضع الشريعة التى قررت العدل فى توزيع الثروة ثم أكدت على حق اليتيم فى الرعاية وفى حفظ ماله ، وحذرت من أن يرتكب فى حق اليتيم ظلم ، أياً كان نوعه وقدره .

ثم يتجاوز الوحى مرحلة الظلم للآخرين ليعالج مرحلة يظلم الإنسان فيها نفسه .. مرحلة ارتكاب الكبائر والفواحش وهى أيضاً ظلم .. هى فاحشة ، وهى كبيرة من الكبائر ، وتسمى باسمها فيقال : زنا ، ولكنها فى الحقيقة أيضاً نوع من الظلم ، لكنه نوع ظلم يوقعه الإنسان بنفسه .

كنا فى الآيات السابقة نعالج ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، والآن نواجه كيف عالج القرآن ظلم الإنسان لنفسه ولاشك أن سورة النساء سورة

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١١ ربيع الأول عام ١٤١٥ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩٤ م .

(١) سورة النساء الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

مدنية ، فهى لم تنزل فى مكة ، لأن مكة لم يكن فيها فى المرحلة الأولى دولة للإسلام ، فكان تركيز الوحى على قضية الوحدانية ، وقصص القرآن ، واستخراج العبرة من هذا القصص .. كما كان تركيزه على الدروس الأخلاقية التى ينبغى أن تسود المجتمع لتتغير أوضاعه الفاسدة ، ويصبح مجتمعاً صالحاً .. كان ذلك كله فى مكة .

* * *

منهج تحريم الزنا

نعم .. جاء فى مكة مثلاً النهى عن الزنا ، لكن لم يأت حد للزنا قال الله تعالى في سورة الإسراء – وهى سورة مكية : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ (1) فنهى الوحى عن الزنا ، ولكن لم يأت حد للزنا ، فقد جاء الحد ضمن المعالجة التشريعية فى المدينة عندما صارت للإسلام سلطة ، وقامت الدولة ، فبدأ الوحى يتتابع لمعالجة هذه الكبائر التى تستحق المواجهة الحاسمة .

مهد الوحى المكى بالنهى عن قربان الزنا فقال : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ (2) وهو يقرنه كما نعلم بالقتل والشرك فيقول : ﴿ **والَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخر وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَن تَابَ** ﴾ (3) فهو يعظم جريمة الزنا ويهول أمرها ، لكن لم ينزل أمر بعقوبة معينة فى مكة لمن يرتكب هذه الفاحشة ، تماماً كما فعل القرآن فى الوحى المكى بالنسبة إلى مسألة الخمر ،

---

(1) سورة النساء الآية : ٣٢ .
(1) سورة النساء الآية : ٣٢ .
(٣) سورة الفرقان الآيات : ٦٨ - ٧٠ .

فقد تعرض القرآن للإشارة إلى الخمر فى قوله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقاً حَسَنًا﴾ (١) لكن لم يأت وهى إشارة معبرة عن جوهر الموقف الأخلاقى القرآنى بالنسبة إلى (السكر) لكن أمر العقوبة أو التحريم لم ينزل إلا فى الوحى المدنى .

وجاء الأمر بالنسبة إلى الخمر فى الوحى المدنى بالتدريج فجاء أولاً : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ للنَّاسِ وإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (٢) ، ثم يقول ثانياً : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وأَنتُمْ سُكَارى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٣) ثم جاء ثالثاً ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ والْمَيْسِرُ والأَنصَابُ والأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤) فكان التحريم فى المرحلة الثالثة .

نفس المنهج بالنسبة إلى الفاحشة ، والآيتان اللتان نحن بصددهما اليوم ﴿ واللاتِى يأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٥) إشارة إلى مواجهة جريمة الزنا فى المرحلة الأولى من العهد المدنى ، منها نزلت هاتان الآيتان آية تخص النساء و آية تخص الرجال .

* * *

---

(١) سورة النحل الآية : ٦٧ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٩ .
(٣) سورة النساء الآية : ٤٣ .
(٤) سورة المائدة الآية : ٩٠ .
(٥) سورة النساء الآية : ١٥ .

الشهادة فى جريمة الزنا

والآية الأولى تخص النساء ﴿ **واللاتِى يأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِّنكُمْ** ﴾[1] هكذا من أول لحظة لا تثبت الجريمة إلا بشهادة أربعة شهود – وبقى هذا الشرط دائماً معمولًا به إلى نهاية الوحى فلابد لإثبات جريمة الزنا على إنسان من أربعة شهود .

وذلك لأن أمر الأعراض أخطر من أمر الأموال ، فلو أننى اقترضت من إنسان مبلغاً من المال يكفيه أن يستشهد بشاهدين حتى يثبت علىّ هذا الالتزام ، وأنا مدين له ، فتقبل فى إثبات الأموال شهادة اثنين ، وكذلك فى الدماء إذا اعتدى إنسان على إنسان يثبت الاعتداء بشهادة شاهدين ، أما الزنا فلا يمكن أن يثبت إلا بشهادة أربعة ، لأمرين :

الأمر الأول : كما قلت : إن شأن الأعراض خطير ، فلا يصح أن يثبت اتهام العرض بسهولة ، بأن يتفق اثنان على هذا الاتهام ، وهو أمر ممكن ، أما التفاهم بين أربعة على الكذب فصعب بعض الشىء ، أصعب على الأقل من التفاهم بين اثنين ، ولذلك اشترط الشارع أربعة شهود .

الأمر الثانى : أن جريمة الزنا لا تقع نهاراً جهاراً فى الشوارع مثلاً ، وأمام الناس ، وإنما تقع خفية داخل حجرات وفى أماكن خفية ومستورة عن الأعين ، فليس من السهل إثباتها ، اللهم إلا إذا كان الطرفان من الوقاحة بحيث استعلنا بالمعصية ، فرآها أربعة على الأقل ، من هنا لابد من أن يشهد أربعة بوقوع الجريمة ، وفى الشهود اشترط القرآن أن يكونوا من المسلمين ،

---

(١) سورة النساء الآية : ١٥ .

كما أن الحديث عن فاحشة يرتكبها نساء مسلمات ، يقول : ﴿ **واللاتِى يأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِّنكُمْ** ﴾ (١) فلابد فى الشهود أن يكونوا مسلمين ، لأن عرض المسلم هين على غير المسلم لا يهمه أن تزنى المرأة أو تذهب إلى الجحيم لكن المسلم يغار على عرضه فهو يدافع عنه ولذلك يشترط فى الشاهد فى هذه الجريمة أن يكون مسلماً .

قد تقبل شهادة غير المسلمين فيما دون الأعراض لكن فى أمر العرض ، لا تقبل إلا شهادة أربعة من المسلمين مادام الأمر قد وقع من مسلمة .

وفى المرحلة الأولى كان الحد إذا ثبتت الجريمة ﴿ **فَإِن شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِى الْـبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْـمَوْتُ** ﴾ (٢) أى : إن القرآن يدعو إلى عزل الفواحش .. عزلهن عن المجتمع .. فلا يراها أحد ،، ولا ترى أحداً .. تحجب عن الناس ، وهو معنى السجن ، وولى الأمر له أن يحبسها فى بيتها ، ويمكن أن يضعها فى السجن فلا يُظْهر أحداً عليها ﴿ **فَامْسِكُوهُنَّ فِى الْـبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْـمَوْتُ أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَـهُنَّ سَبِيلًا** ﴾ (٣) كان هذا طبعاً فى المرحلة الأولى .

* * *

---

(١) سورة النساء الآية : ١٥ .

عقوبة الزنا

ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ والزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [١] هذا فيما يتعلق بالزانية والزانى غير المحصن ، فأما المحصن : - أى الذى تزوج - فإنه يرجم ، كما ثبت ذلك بالسنة القولية والفعلية ، فهى سنة متواترة عن رسول الله ﷺ والسنة المتواترة تثبت الحكم كالقرآن تماماً ، فالقرآن متواتر يثبت الحكم ، والسنة المتواترة تثبت الحكم .

والرجم ثابت بالسنة القولية ، قال رسول الله ﷺ : « قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب ارجموهما البتة » [٢] إلى آخر الأحاديث التى جاءت فى هذا ، ثم رجم رسول الله ﷺ ماعزا والغامدية ، ورجم اليهودى واليهودية ، وبذلك ثبت الرجم للزانى والزانية ، المحصنين ، وثبت الجلد للزانى والزانية البكرين .

هذا كما قلت نوعاً من التدرج فى التشريع ، فالوحى لم يأت مرة واحدة بالجلد ، وبالرجم ، وإنما أمر أولاً فى المرحلة الأولى بأن تعامل الزانية بالعزل عن المجتمع وتحبس ، فيتطهر المجتمع من وجودها ، لأنها لو تركت فستستمر فى المعصية ، ولذلك أمر بحبسها ﴿ **فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾ [٣] .

* * *

---

(١) سورة النور الآية : ٢ .
(٢) حديث شريف .
(٣) سورة النساء الآية : ١٥

كبيرة اللواط

والآية الثانية : ﴿ **واللذَانِ يأتيَانِهَا مِنكُمْ فَأذوهُمَا** ﴾ [1] هذه فى قضية اللواط عندما يخالط رجل رجلاً ، أو ذكر ذكراً ﴿ **واللذَانِ يأتيَانِهَا مِنكُمْ فَأذوهُمَا** ﴾ [2] يعنى يتعرضان للضرب بالنعال والشتم والإهانة ﴿ **فإن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً** ﴾ [3] .

ثم تطور الأمر إلى أن أصبح لهما حد معين إن كانا محترفين ، أما إن كان المعتدى عليه طفلاً فلا يتعرض لأذى ، وإنما يتعرض المعتدى للحد ، إن كان محصناً أو غير محصن ، على اختلاف المذاهب ، ولكنها جريمة التفت إليها القرآن بشكل مبكر فى أول عهد المدينة وقد سبق فى العهد المكى أن أبرز وجهها الفاحش القبيح فى قصة لوط عليه السلام .

* * *

كبيرة السحاق

ولهذه الجريمة شكل آخر إذ يرى بعض المفسرين أن الآية الأولى : ﴿ **واللاتِى يأتِينَ الْفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ** ﴾ [4] هى نص فى المساحقة ، عندما تختلط امرأة بامرأة ، في مقابل ﴿ **واللذان يأتيانها مِنكُمْ** ﴾ [5] وهى نص فى اللواط هذا وجه من الوجوه .

---

(١) سورة النساء الآية ١٦ .
(٢) سورة النساء الآية ١٦ .
(٣) سورة النساء الآية ١٦ .
(٤) سورة النساء الآية ١٥ .
(٥) سورة النساء الآية ١٦ .

والوجه الآخر : هو أن الآية الأولى عامة في وقوع الفاحشة من النساء ، سواء أكانت من الرجال فمعهن ، أو بصورة أخرى ، لكن المهم أن القرآن حرص على تطهير المجتمع الإسلامى من جريمة الزنا ومن جريمة اللواط ، لأن ذلك أخطر ما ينخر فى عظام المجتمع ، ولقد أرسل الله - عز وجل - لوطاً نبياً كريماً ليقاوم وقوع هذه الفاحشة فى قومه ﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ (١) إلى آخر ما جاء فى التحذير من هذه الجرائم التى أصبحت الآن ذات أوضاع غريبة فى العالم ، وأصبح مرتكبوها يجاهرون بها دون حياء ، بل ومنهم من يتولى أرفع المناصب فى مختلف البلاد .

* * *

المجتمع الإسلامى والفواحش

مما لا شك فيه أن المجتمع الإسلامى فيه أنفة .. وفيه تَرَفُّع عن هذه الدنايا .. مجتمعنا يكره الزنا ويرفضه .. ويكره اللواطة ويرفضها ، وما زال المجتمع بخير على الرغم من وجود بعض مؤسسات الدعارة والفسق فى المجتمع ، كالكباريهات ، ونوادى القمار ، وبعض الشقق التى تؤجر لمثل هذه الأغراض القبيحة ، لكن المجتمع فى بنيته الأساسية بخير .. مجتمع يؤمن بحرمة هذه الجرائم ، ويقاومها ، وهو لا يتصورها إلا إذا أخذت شكل البغاء السرى ، والتجارة الخفية .

نعم .. كان عندنا فى عهد الاستعمار الإنجليزى حتى سنة ١٩٤٨ م بغاء علنى .. كانت البغايا يحصلن على تراخيص معينة ويكشف عليهن فى كل أسبوع صحياً ، وذلك أثر من آثار الاستعمار ، لأن الجنود الإنجليز كانوا

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٨١ .

يبحثون فى دورتهم التجنيدية والعسكرية عن مثل هذه الرذائل ، فكان الاستعمار يهيئ للحصول على المعصية وللحصول على الخدمة القبيحة .

وكان المجتمع يعتبر دائماً أن هذا زنا وعلى أنه فاحشة ، ثم ألغى البغاء العلنى .. وألغيت التراخيص ، وأصبح ما يحدث يحدث سراً ، والمجتمع لا يمكن أن يصادر أفعال الأفراد الذين يأتون أعمالهم خفية .

لا يمكن أن يواجه المجتمع إنساناً يرتكب جريمة داخل بيته ، ولا سبيل لأحد عليه ، وإنما السبيل لله - تبارك وتعالى - وهو الذى يتولى خلقه .. وهو الذى يطلع على هذه الخفايا **﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الأَرْضِ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ واللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾** [1] .

فالمجتمع ما زال بخير ، وهو ينكر مثل هذه الجرائم ولا يقبلها بحال ، بل إننا فى الصعيد مثلاً إذا وقعت هذه الجريمة من فتاة أو من امرأة فإن أحداً لا يعرف لها طريقاً ، تخلصاً من العار ، وستراً للفضيحة ، رغم أن الدين يجعل ذلك إلى سلطان القانون ، وهو من اختصاص المحاكم .

* * *

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٢٩ ، ٣٠ .

المجتمع الغربى والفواحش

أما بالنسبة إلى المجتمعات الغربية فى أمريكا وأوروبا فسنجد الأمر بالعكس ، أصبحت المرأة تعاشر المرأة ، والرجل يعاشر الرجل ، وقصت عليّ سيدة فضلى طبيبة ذهبت إلى انجلترا وكانت لها زميلة تدرس معها الطب وكان بينهما تزاور ، وكانت الطبيبة المسلمة تعرف أن هذه الطبيبة لها صديق وهو ما يسمى عندهم - البوى فرند - والمرأة تسمى - الجيرل فرند - يعنى (الواد الصديق أو البنت الصديقة) ويجرى دائماً بين الناس فى إطار هذه الصداقة كل ما يجرى بين الأزواج .. هى مجتمعات لا حرج فيها على الإطلاق ، فهم يعيشون على الفاحشة أو الزنا ، مجتمعات أولاد الحرام - والعياذ بالله - فذهبت السيدة الطبيبة بعد غيبة طويلة إلى انجلترا لتزور صديقتها فسألتها : أين صديقك ؟ فردت عليها رداً غريباً جداً قالت لها : بحث له عن صديق .. أصبح الآن يعيش مع ذكر مثله .

والمجتمع الآن هنالك يعترف لهم بالحق .. الدستور البريطانى والأمريكى ودساتير الدول الأوربية تعترف لهؤلاء بالحقوق ، وأنهم مواطنون ، وأن لهم الحق فى العلاقات الحرة من الناحية الجنسية ، كل واحد حر يفعل بنفسه ما يشاء ، فهذا جسده وهو حر التصرف فيه .

من هذا المنطلق فسدت المجتمعات فساداً قبيحاً ، وأصبح أكثر الشباب لا يعرفون لأنفسهم آباءً ، فقد جاءوا إلى الدنيا ثمرة علاقة آثمة بل لقد وجدنا فى فرنسا مثلاً أن الفيلسوف الأكبر الذى ظهر فى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م « جان بول سارتر » وهو فيلسوف الوجودية ، هذا الفيلسوف كان يعيش مع امرأة حياة جنسية حرة بلا زواج ، وجاءت هذه العاهرة إلى مصر ، وزارت هى والفاسق معها مصر فى عهد

« عبد الناصر » وجلست مع بعض السيدات المشتغلات بالحركة النسائية هنا وسألتهن فى أحوالهن الجنسية ، فلما أخبرنها بأن المرأة لا تنال حقها الجنسى إلا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يعنى عن طريق الزواج الشرعى استغربت !! وقالت : هذا تخلف .. المرأة يجب أن تبحث عن مزاجها .. أن تقبل أو ترفض أى إنسان فى أى لحظة .. فهى ينبغى أن تكون حرة فى علاقتها وذهبت (وغارت) بغير رجعة ، وبقيت لمصر والحمد لله عفتها وحصانتها وصيانتها .

* * *

الشذوذ الجنسى فى أمريكا

والعجب أن الولايات المتحدة تخرج فيها مظاهرات ، قص علىّ قصتها من شاهدوها - مظاهرات للذكور الذين ينادون بالاكتفاء الذاتى ، لا يريدون النساء ، فهم يكتفون بأنفهسم ولهم اتحادات ونقابات عديدة ولها نفوذ فى المجتمع الأمريكى ، ثم تخرج مظاهرات أخرى من النساء اللاتى يكتفين بأنفسهن ، نساء يعاشرن نساء ، فى مجتمعات المساحقة الموجودة والمعترف بها .. كما أن مجتمعات اللواطة موجودة ومعترف بها ، بل إن لهم حقوقاً دستورية ولهم ممثلون فى البرلمانات .

وكلينتون [١] عندما نجح فى الانتخابات السابقة عام ١٩٩٣م نجح بفضل أصوات المثقوبين المأبونين الشواذ جنسياً ، فهم الذين أعطوه أصواتهم ، لأنه وعدهم بأنه سيحل لهم المشكلة ، وسيدخلهم فى القوات المسلحة ، ويعدل الدستور الأمريكى ليعطيهم حقوقهم ، وفعل الرجل وأدخلهم فى القوات المسلحة واستقال رئيس الأركان [٢] القائد العام الذى قاد حرب الخليج مع شوارتسكوف ، وكان زنجياً ، ورفض أن يستمر فى هذه المهزلة ، وقال : هذا خطر على الجيش الأمريكى .. لكن كان لابد للرئيس الأمريكى أن يكون وفياً بوعده ، متعاطفاً مع الذين أعطوه أصواتهم ، وأنجحوه وأوصلوه إلى الكرسى .. كيف لا يوفى بالكلمة التى أعطاها !!

فالشاهد أن هذه المجتمعات أصبحت تعترف بالجريمة بصورتيها ، على أنها حرية ، وعلى أن لأطرافها حقاً مشروعاً لكن هذه الجرائم بقيت فى إطار المجتمعات الغربية ، إنها جرائم تنخر وتقوض أساس المجتمع هناك ،

---

(١) بيل كلينتون الرئيس الأمريكى .
(٢) الجنرال كولن باول .

أما مجتمعات المسلمين فسوف تقوى ، لأنها مجتمعات ترفض هذه الفواحش ، رغم كل المحاولات المشبوهة التى تحاول نشر الفساد عن طريق الرذائل المقننة .

إن السياسات الغربية تؤمن بضرورة تصدير هذه الجرائم إلى المجتمعات الإسلامية رسمياً ، بتخطيط هيئة الأمم المتحدة ، وفى مؤتمر السكان والتنمية [1] طرحت الوثيقة التى تقرر أن الشذوذ الجنسى حق مكفول لكل إنسان ، وأن الأسرة لا يشترط أن تتكون من رجل وامرأة كما قالوا فى حدود الشرعية بل يمكن أن تتكون من رجل ورجل .. وامرأة وامرأة .. ورجل وامرأة بدون شرعية .. ورجل وامرأة بشرعية ، فهم يسعون إلى تحقيق النموذج الحر للأسرة .

وبدلًا من أن يكون هناك شكل واحد وهو الزواج الشرعى بين الرجل والمرأة ، يقولون إن الأسرة لابد أن تظهر بصورة متجددة : مرة أسرة من رجل ورجل .. ومرة أسرة من امرأة وامرأة .. ومرة أسرة من رجل وامرأة خارج تعاليم الدين .. ثم لا بأس أن يبقى الزواج التقليدى بين الرجل والمرأة على كتاب الله أو بالطريقة الشرعية .

ونتساءل عن الهدف من هذا المسخ لنظام الأسرة ؟ ، والهدف واضح ، فهم يريدون أولًا إيقاف النسل .. لا تنجبوا .. لأننا لا نجد لكم قمحاً ، ولن نجد لكم طعاماً .. لأنهم هم الذين يطعموننا .. الفلاح الأمريكى يزرع لكى يأكل الفلاح المصرى .. الفلاح المصرى الخائب الذى ضيع أرضه وبورها أصبح الآن يتسول الرغيف .. ونحن معه .

كنا قديماً نشترى القمح ونطحنه ونفصل فيه بين الدقيق (المقطَّف)

---

(١) عُقد فى الفترة من ٥ - ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م بقاعة المؤتمرات فى القاهرة .

والردة .. والسن .. والأم تصنع خبزاً من الدقيق الأبيض .. وخبزاً من السن تتفنن فيه ، أصبح هذا كله منتهياً لا وجود له فى الريف ، وأصبحنا ننتظر صدقة الولايات المتحدة علينا بالقمح فلابد أن توقفوا النسل لأننا لن نجد لكم طعاماً (حنجيب لكم قمح منين) هذا من ناحية .

* * *

فساد الأخلاق

ومن ناحية أخرى لابد من إفساد الأخلاق وهو ما طالبت به الوثيقة ، إطلاق العلاقة بين المراهقين البنات والبنين ، وإنى لأتصور أن الذين فكروا فى منع حجاب البنات يرون ذلك خطوة على طريق إطلاق العلاقات والتجاوب مع وثيقة السكان والتنمية ، فليست المسألة مسألة أمنية فأنا أعلم وأعرف كثيراً من ضباط الأمن فى مصر فى منتهى التقوى .. فى منتهى المواظبة على الصلاة .. وزوجاتهم محجبات ، فليست المسألة إذن مسألة أمنية ، وإنما هى تمهيد لإطلاق العلاقة بين التلاميذ فى المدارس الإعدادية والتلميذات وربما تكون الخطوة التالية هى التعليم المختلط .. والتعليم المختلط موجود فى بعض المدارس ، لكنهم يريدون أن يعمموا التجربة لأن التجربة نجحت فى إفساد أخلاق الأولاد .

إذن فلنعمم التجربة ، وليكن التعليم مختلطاً فى كل المراحل ، لماذا نفصل بين الذكور والإناث ؟! الأولاد كلهم (زى بعض وخليهم يتمتعوا بحياتهم) ويتعودوا العلاقات بدون عقد .. وبدون مشاكل .. وبدون «كلاكيع » ..إلخ) .

كل هذا فى الحقيقة غارة وعدوان على المجتمع الإسلامى الذى يرفض الفاحشة فى كل صورها ، يريدون أن يحطموا الدين .. أن يفجرّوا المجتمع الإسلامى من داخله ، بإطلاق وحش الغريزة ، ابتداء من الأطفال فى سن المراهقة .

والغريب أنهم يقولون أن العلاقات بين المراهقين يجب أن تبقى سراً والفتاة إذا حملت يجب أن يبقى حملها سراً فلا يفشى هذا السر لأبيها ،

حتى لا يفتك بها ، كأنهم يحسبون حساب حوادث القتل التى سوف تستأصل كل السائبات .. الضائعات .

هذه مشكلة فظيعة حملتها إلينا تلك الوثيقة التى أعدت بليل ، والغريب أن الولايات المتحدة تهدد بمنع معوناتها عن أى دولة ترفض وثيقة السكان والتنمية .

نحن لا يهمنا الولايات المتحدة ، ولكن يهمنا - إن كنا جادين فعلاً فيما اشار إليه رئيس الجمهورية بأن مصر لن توافق على شيء يخالف شريعة الإسلام - يهمنا أن يتغير المجتمع ، ويتحول إلى خلية متحركة واثبة لتزرع ما نأكل ، ونلبس ما نصنع ، وبذلك يتغير الحال ، ولا يخيفنا أن تهددنا أمريكا بأننا إذا لم نتحول إلى شواذ وإلى مومسات فسوف تحرمنا من الطعام ، يقول المثل العربى : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » ونحن أحرار فى بلادنا وفى اعتقادنا ، ونحن نملك من الدين ما يعصمنا من هذه المفاسد ، وما يقوى موقفنا فى مواجهة غارات الأمم المتحدة ومؤامرات بطرس غالى وبقية المتآمرين معه .. لعنة الله عليهم أجمعين أكتعين أبصعين .

اللهم آمين .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٤٢٠ / ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ـــ ١١٢٣١